اخبر عنه بانه كلمة الله وقول الحق مجاز على طريق تسمية المسبب باسم السبب وكذا ان كان قول الحق
خبرا بعد خبر او بدلا من عيسى عم يكون التعبير عنه بقول الحق مجازا ايضا ويكون اضافته اليه
لامية على ان الحق اسم الله ويحتمل ان يكون الضمير للكلام السابق او قول تمام قصة مريم الى
هنا اى الذى ذكر هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان قوله ومعناه كلمة الله
اى معنى قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدلا منه او خبرا بعد خبر كلمة الله على ان الحق
اسم الله تعالى فلا فرق بين قولنا عيسى كلمة الله وبين قولنا عيسى قول الحق فان عم لما كان
يكون بكلمة كن صح ان يعبر عنه بكلمة الله وقول الحق مجازا بطريق اطلاق اسم السبب
وارادة المسبب ومن قرا قول الحق منصوبا جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التى
لا تحتمل غيره كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل اى اقول قول الحق اى قول الصدق
والاضافة فيه اضافة الموصوف الى صفته اى القول الحق ويحتمل ان يجعل منصوبا
على المدح لعيسى اى اعنى كلمة الله بان يجعل القول بمعنى الكلمة ويريد بالحق البارى تعالى
وقرئ قال الحق برفع اللام على انه خبر مبتدا محذوف اى هو قول الحق اى قول الحق بمعنى
هو كلمة الله وقوله الذى نعت للقول اى ان اريد به عيسى عم وقراءة نافع والكسائى
فى رواية عنهما يمترون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة ويمترون امام المرية
اى الشك اى يشكون فى امره وامام من المراء وهو الجدال واللجاج فان الناس كانوا
يمترون فى امره فيقول اليهود فى حقه انه ساحر كذاب مولود من غير رشدة ويقول
النصارى هو ابن الله وثالث ثلثة كذب الله تعالى كل واحد من الفريقين على الوجه الابلغ
حيث وصفه عم باضداد ما وصفه به الفريقان حيث حكى عنه انه قال انى عبد الله اتانى
الكتاب وجعلنى نبيا الى اخر ما وصفه به ثم عكس الله الحكم فقال ذلك عيسى بن مريم
لا الذى تصفونه بما ذكرتم من الاوصاف وانما صرح بمزيد تكذيب النصارى وبكتهم
بالحجة حيث قال ما كان لله ان يتخذ ولدا ثم نزه نفسه عما بهتوه بقوله سبحانه ثم بكتهم
بالحجة بقوله اذا قضى امرا الخ لان كذبهم اعظم من كذب اليهود من حيث ان كذبهم افتراء على الله
وشرك وتشبيه وفيما اقامه من الحجة على بطلان قول النصارى تعريض بتكذيب اليهود فى تحرى
والزاما على ان عيسى عم وجد بكلمة فانه يستلزم بطلان قول من يقول انه مولود من غير رشدة
فان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد تكذيب للنصارى اى ما صح له وما استقام فى العقل ان
يتخذ من ولد وقوله سبحانه تنزيه لله تعالى عما نسبوه اليه وقوله اذا قضى امرا برهان على ذكره من انتفاء الولد
عنه واستحالة قولهم بان الذى من شانه انه اذا حكم بوجود شىء واراده اوجده بقوله كن كان منزها

عن مشابهة الاجسام المتوالدة قوله ثم اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون محمول على ظاهره والمعنى
كارم انه تعالى اذا احدث شيئا قال له كن فيكون بكلمة وحمله اخرون على الاستعارة التمثيلية شبه وقوع
المكونات عقيب تعلق ارادته الازلية بوقوعها من غير توقف بامتثال المامور المطيع لامر الامر المطاع
من غير توقف عادة على الهيئة المشبهة فقيل اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فان تعلق الارادة
الازلية بالمراد من حيث كونه موجبا لوقوعه يجرى مجرى امر الامر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق
تلك الارادة به يجرى مجرى امتثال المامور المنقاد لامر الامر المذكور فعبر عن هذا المعنى بهذه
العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية قوله تعالى وان الله ربى قراءة ابن عامر والكوفيين
بكسر همزة ان على الاستيناف ويؤيدها قراءة ابى ان الله بالكسر بدون الواو وقراءة
نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب بفتح الهمزة على حذف اللام الجارة المتعلقة بقوله فاعبدوه
والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
اى ولان المساجد فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والمعنى لا تدعوا مع الله احدا فى المساجد
لان المساجد لله فعلى هذا يعمل ما بعد الفاء السببية فيما قبلها بخلاف الفاء الجزائية وقيل وجه
القراءة بفتح الهمزة كونه معطوفا على الصلوة فى قول عيسى عم واوصانى بالصلوة بتقدير
الباء المتعلقة باوصانى والتقدير واوصانى بالصلوة وبان الله ربى وربكم ومن قرا
وان الله بكسر الهمزة جعله كلاما مستانفا ويؤيده ابى ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب
الامر بعبادة الله على وصف ربوبيته يدل على انه انما يلزمنا عبادة الله لكونه ربا لنا
منعما لنا بانواع النعم لما تقرر من ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بعلية الوصف له لا سيما
اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الصاحبة والولد صراطا مستقيما
تشبيها له بالطريق من حيث انه يوصل الى الجنة ثم ان من قال وان الله ربى وربكم لا يصح ان
يكون هو الله تعالى وهو ظاهر فقيل ان قائله هو سيد المرسلين عليه السلام اى قل يا محمد ان ربى
وربكم فاعبدوه كما ان عيسى بن مريم عبد الله وقيل ان قائله هو عيسى عم وان قوله وان الله ربى وربكم
معطوف على قوله انى عبد الله اتانى الكتاب واعلم ان قوله تعالى وان الله ربى وربكم فاعبدوه اشارة الى
الاستكمال بحسب القوة النظرية وقوله فاعبدوه امر بالاستكمال بحسب القوة العملية ثم بين ان
ذلك الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ومن اخل باحدهما فقد ضل سواء السبيل ثم انه تعالى
لما قص عليهم قصة عيسى عم بين انهم اختلفوا فيه من بين الناس والمراد بالاحزاب اليهود والنصارى
فانهم تحزبوا حزبين افرط احدهما فى تعظيمه والاخر فى ذمه وقيل المراد بها النصارى فانهم تحزبوا ثلثة فى
فى امر عيسى نسطورية ويعقوبية وملكانية قوله من مشهد يوم على ان مشهدا مفعل من الشهود

Copyright © King Saud University